الثورة الاسلامية و عودة التدين الى النظام الدولي

الدين والتدين قبل الثورة الاسلامية كان ينظر اليه باعتباره عامل تغيير مغفول عنه . عامل تم اغفاله وتجاهله عن وعي من قبل القوى العظمى، وعن غير وعي من قبل الدول التابعة لها .

في رسالته التي حملت عنوان " المرحلة الثانية للثورة " ، اوضح سماحة القائد الامام الخامنئي ان الثورة الاسلامية ، وبعد انقضاء تجربة الاربعين عاماً ، انتقلت الى المرحلة التالية من بناء الذات و بلورة المجتمع و الانشاء الحضاري ، لافتاً الى ان الخطوة التالية ينبغي ان تكون في اطار " رؤية النظام الاسلامي " ، و في ظل " جهود وجهاد شباب ايران الاسلامية " ، أملاً في تحقق الاهداف و التطلعات ببناء الحضارة الاسلامية المعاصرة ، و الاستعداد لشروق شمس الولاية العظمى (ارواحنا لمَقدَمه الفداء) .

وفي هذا الصدد نشر الموقع الاعلامي لمكتب سماحة القائد KHAMENEI.IR ، سلسلة ابحاث ودراسات تحت عنوان " ملف المرحلة الثانية للثورة " حاول من خلالها تسليط الضوء على ابعاد ومحطات هذه المرحلة.

النص التالي مستقى من حوار للدكتورعلى اكبر ولايتي ـ مستشار الشؤون الدولية لسماحة القائد ـ يحاول تسليط الضوء على موضوع احياء التدين على الصعيد العالمي في ظل انتصار الثورة الاسلامية ، و الوقوف على تداعيات ذلك .

يرى الدكتور ولايتي ، ان تشكيل نظام دولي ثلاثي الاقطاب يمثل احد مفاتيح المفردات الهامة لسماحة القائد في رسالته التي حملت عنوان " الخطوة الثانية للثورة". طبعاً المراد بنظام دولي ثلاثي الاقطاب ، بالنسبة لعالم

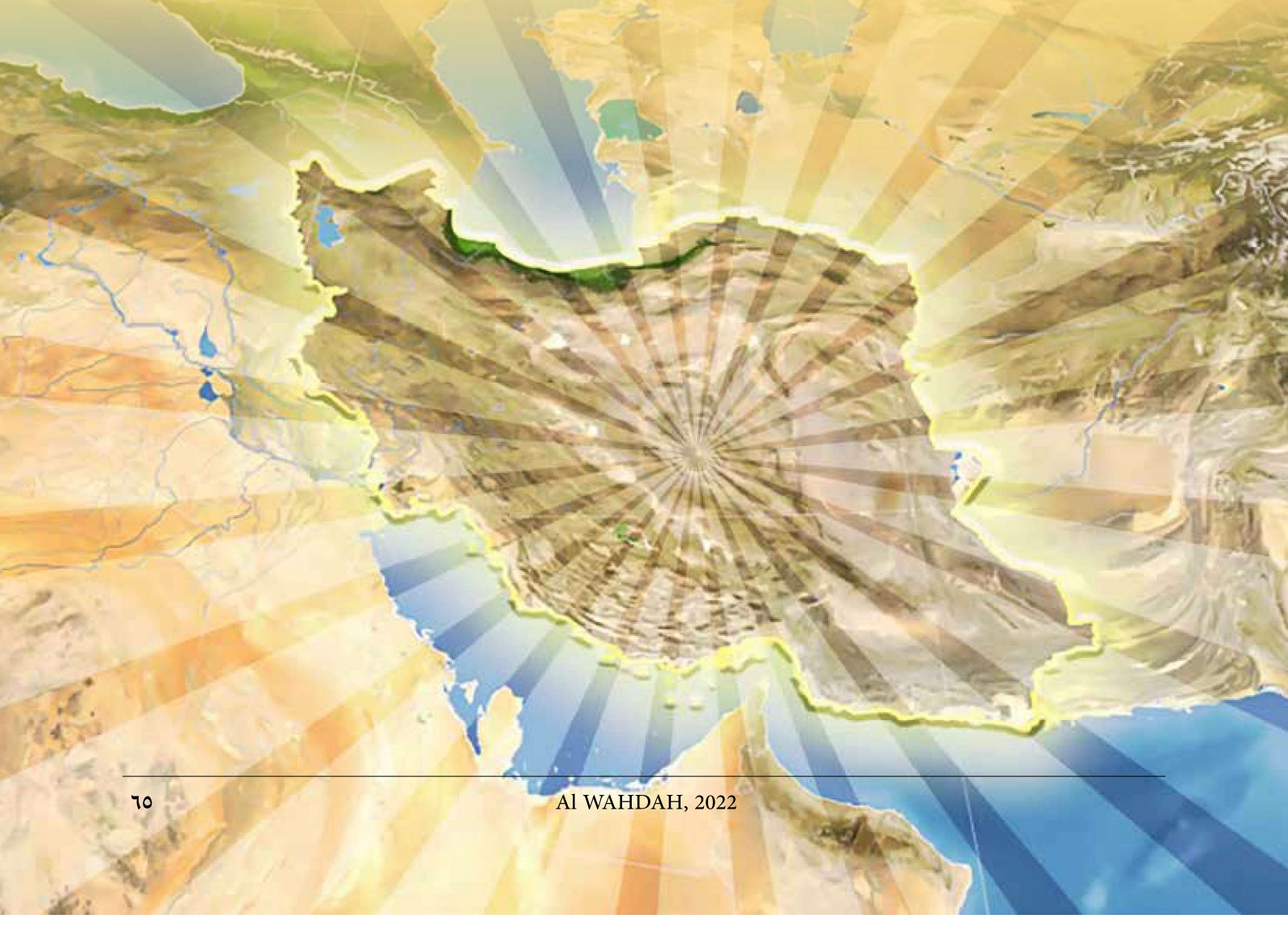

ما قبل انهيار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١ . لذا قبل الخوض في الاسباب التي قادت الى اندلاع الثورة الاسلامية باعتبارها تمثل قطباً آخرغير قطبي الشرق والغرب ، لابد من استحضار المسار الذي قطعه النظام

الدولي لبلوغ عالم ثنائي الاقطاب .
لاشك ان الارضية التي افضت الى تشكل العالم ثنائي الاقطاب ، ينبغي التعرف عليها في ظل الظروف التي اعقبت الحرب الكونية الثانية. ذلك ان (العالم ما بعد الحرب العالمية الثانية ، عالم قائم على اساس مؤتمر يالطا) الذي اسفرعن توقيع الاتفاقية في شبه جزيرة القرم ، من قبل رؤساء الدول الثلاث المنتصرة في الحرب ، روزفلت و استالين و تشرشل ، و تشكل في ضوئها اساس العالم ثنائي القطب . حيث شكل احد قطبيه الانظمة الديمقراطية الليبرالية ، فيما مثل القطب الآخر الدول الشيوعية . و ان ما استدعى تشكيل عالم ثنائي القطب هو، ان اميركا و بريطانيا و فرنسا توصلت الى نتيجة مفادها ان استالين يحاول استغلال الفراغ الذي نتج عن هزيمة هتلر لتوسيع نطاق هيمنته و نفوذه . و في ظل ذلك ظهر الحلفان ، حلف وارشو الذي يضم دول المعسكر الشرقي ، و حلف الناتو المؤلف من دول المعسكر الغربي ، اي الولايات المتحدة و بريطانيا . و في عام ١٩٥٩ انتصر ماو تسي تونغ في الصين بمساعدة استالين ، و بذلك اتسع نطاق معسكر الشرق جغرافيا ليضم الصين و من ثم فيتنام و لائوس و كمبوديا . و بعد عشر سنوات ، و في عام ١٩٥٩ بالتحديد ، التحقت كوبا بالمعسكر الشيوعي . و ما يذكر ان الثورة الكوبية اندلعت في ظل اوضاع كان مبدأ مونرو مهيمناً على السياسة الخارجية الاميركية . حيث كانوا ينظرون الى اميركا الجنوبية بمثابة الحديقة الخلفية بالنسبة لهم . كل هذه التطورات اكسبت العالم ثنائي القطب المزيد من الاهمية و ساعدت في ترسيخه.

و في هذه الاثناء كنا نشهد تبلور حركة دول عدم الانحياز . و يبدو ان احد الاشكالات الاساسية التي حالت دون تحول الحركة الى قطب آخر غير معسكري الشرق و الغرب ، هو الازمة المعرفية التي كانت تعاني منها الحركة على صعيد الاعضاء. ذلك أن هذه الدول كانت تفتقد الى الارتباط المعرفي فيما بينها. و ما يذكر ان حركة عدم الانحياز كانت تعاني من الضعف داخلياً من ناحية المضمون . فعلى الرغم من ان الحركة كانت تتطلع لأن تصبح قطباً ثالثاً إلا ان ذلك لم يحدث. وهنا يجب ان نرى لماذا لم تتمكن الحركة من التحول الى قطب ثالث بالنسبة للنظام الدولي ؟

يشارالى ان قطبي الشرق والغرب كانا يشتركان في انكار الدين . الغربيون آمنوا بنظرية تقديس الانسان (الاومانيسم) بدلاًمن الدين ، تأثراً بالثورة الفرسية الكبرى . فيما آمن المعسكر الشرقي بالشيوعية . وكلاهما كانا يشتركان في انكار المعنويات ، وما وراء الطبيعة ، والغاء الدين . أما حركة عدم الانحياز فقد كانت ممثلة في اشخاص معدودين : جواهر لال نهرو و كان هندوسياً ، و جمال عبد الناصر وهوعربي مسلم . و فيدل كاسترو الذي كان زعيماً لدولة كاثوليكية بغض النظرعن توجهاته السياسية الماركسية . و عليه لم يكن لديهم هدفاً ايجابياً مشتركاً ، فالذي كان هو النفي فحسب ، نفي الشرق ، ونفي الغرب ، أي السلبية في السياسات الدولية دون اي نص ايجابي بوسعه تحقيق التقارب و الارتباط معاً .

في ظل هكذا اوضاع جاءت الثورة الاسلامية عام ١٩٧٩. وما يذكر هنا هو ان الدين والتدين قبل الثورة الاسلامية كان ينظر اليه باعتباره عامل تغييرمغفول عنه . عامل تم اغفاله وتجاهله في النظام المعرفي ، عن وعي من قبل القوى العظمى، وعن غير وعي من قبل الدول التابعة لها . و في ضوء ذلك يمكن تصور الانجاز الاهم و الابرز للثورة الاسلامية في إعادة الحضور الفاعل للدين الى معترك الحياة الفردية والاجتماعية . حيث اصبح الدين المحور في الاتفاقيات و المعاهدات ، والمعيار في العلاقات الدولية. أما بالنسبة للشواهد على ذلك ، يمكن الاشارة الى الآتي: ان نداء الثورة الايرانية كان بمثابة نداء احياء الاسلام ، واحياء الدين في الدنيا . فبعد أشهر من الثورة الاسلامية في ايران ، اندلعت الثورة في نيكا راغوا . و في هذا الصدد قال لي فيدل كاسترو : لقد قلت الى السيد دانيال اورتيغا ، قائد الثورة النيكاراغوية، كنا قد أخطئنا مرتين ، فلا تكرروا انتم الخطأ. الخطأ الاول هو معاداة الدين . والثاني اعتماد

الاقتصاد الاشتراكي. فلا تحاربوا الدين، ولا تتبعوا الاقتصاد الاشتراكي .

وفي زيارة لي الى بولندا ، قال لي وزير خارجيتها و كان قسيساً : ثورتكم لم تعمل على احياء الاسلام فحسب ، وإنما احيت الدين في الدنيا . ذلك ان كل من يفوز في الانتخابات برئاسة الجمهورية يذهب الى الفاتيكان ليصادق البابا على انتخاب الشعب له ، و كأن ذلك أشبه بمصادقة الولي الفقيه في ايران على انتخاب رئيس الجمهورية .

و في ايران انطلقت الصحوة الاسلامية منذ صدور فتوى المرحوم الميرزا الشيرازي بتحريم التنباك ، و الغاء اتفاقية رجي . و تواصلت في نضال المرحوم الحاج ملا علي كني بالتصدي لاتفاقية رويترز التي وضعت ايران تحت الوصايا البريطانية . و على أثر ذلك تبلورت الحركة الدستورية (المشروطة) بقيادة علماء الدين . و كان المرحوم الآخوند الخراساني في طليعة العلماء الذين ساندوا الحركة الدستورية . و كان سيد عبد الله البهبهاني و سيد محمد الطباطبائي و الشيخ فضل الله النوري ، من جملة كبار علماء الدين الذي وقفوا الى جانب الحركة الدستورية .

كما ان تأسيس حركة حماس و حركة الجهاد الاسلامي ، كان بمثابة عودة الفلسطينيين في نضالهم الى الاسلام . و مثل ذلك ظهر في العراق ايضاً بتشكيل المجلس الاعلى . و ان هذا التوجه في تنامي مستمر و بصدد التحول الى قطب اسلامي بمحورية الجمهورية الاسلامية ، و البرهنة على كفاءته و فاعليته . ولا يخفى ان جبهة المقاومة التي تشكلت ، إنما هي في الحقيقة بمثابة منظومة اقليمية ، بدءً بالجهاد و انتهاءً بالتعاون الدفاعي و الاقتصادي و السياسي و الثقافي .

باختصار كل ذلك يدل على العودة الى الدين و التدين على الصعيد الدولي ، حيث اضحى الدين المحور في العلاقات ، ومبنى التحالفات الجديدة في العالم .

وما يذكر ان فريقاً من الباحثين و المحللين السياسيين يستندون الى نموذج الاتحاد السوفيتي ، للبرهنة على امكانية تداعي النظام السياسي الاميركي . و مهما يكن فان الاتحاد السوفيتي كان صاحب الكثير من الامور التي تحدث لأول مرة في العالم . فهو اول قوة عظمى نووية ، و اول بلد ارسل الى الفضاء مركبة فضائية ، الى غير ذلك . فلماذا

لا تقترب الولايات المتحدة الاميركية ، التي تعتبر نفسها قوة عظمى ، و تمتلك اقوى اقتصاد في العالم ، و أقوى جيش ... الخ ، من انهيارها المعرفي مثلما حدث للاتحاد السوفيتي؟

" اميركا اليوم ليست اميركا في عهد واشنطن التي قاتلت الاستعمار البريطاني و حصلت على استقلالها. اميركا التي حاربت الاستعمار تتطلع اليوم لإستعمار الآخرين". نحن نرى اليوم شخصاً مثل ترامب يفعل ما يحلو له داخل اميركا و خارجها . لايصح ذلك . " ان رئيساً مثل ابراهام لينكولن بذل ما بوسعه لتحرير العبيد ، و في النهاية دفع حياته ثمناً لذلك. فمَنْ من الرؤساء الاميركيين يشبه الرئيس ابراهام لينكولن ؟ " . الاميركان انفسهم يعترفون بان الشرطة الاميركية تتصرف بنحو سيئ للغاية مع المواطنين السود ، عكس تعاملها مع المواطنين البيض . وهذا يعني ان التمييز العنصري تم التخلص منه في الظاهر فحسب ، أما الواقع فهو غير ذلك . اضف الى ذلك ، ان اميركا هي نفسها كانت مستعمرة في يوم ما ، غير أنها تحاول اليوم استعمار الدول الأخرى . فهي التي كانت وراء تنفيذ انقلاب ٢٨ مرداد عام ١٣٣٢هجرى شمسى في ايران(١٩/٨/١٩٥٣م) .

و اليوم تقوم بدعم السعودية التي تمطر الشعب اليمني الاعزل بالقنابل و الصواريخ ، و تضطهد الفلسطينيين و تقمعهم ، ولا تألوا جهداً في مساندة الكيان الصهيوني الغاصب . و قد شهدنا كيف ان ترامب يخاطب السعودية بالقول : أننا ندافع عنكم ، لذا ينبغي لكم ان تدفعوا ثمن ذلك .

الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية لا تتحفظ عن فعل كل ما تريد . حتى تزعم بأنها كانت وراء انهيار الاتحاد السوفيتي، و اعلنت بأن العالم بات احادي القطب ونحن الذي نمثله . وفي عام ١٩٩١م اعلن بوش الأب لدى تفقده قوات المارينز موضحاً: العالم اليوم احادي القطب ، و نحن القوة العظمى الوحيدة في العالم . بيد ان الخطاب تغير اليوم ، حيث نراهم يرددون : كنا في سورية و افغانستان و العراق و ... الخ ، وقد انفقنا المليارات هناك ، غير أننا لم نحقق مكاسب تذكر .. وهذا ما يلفت الى تداعي القوة الاميركية العظمى .